



22 سبتمبر 2007

سقطت ورقة التوت أي حوار تطالبون به بين الصحافة والنظام؟

د. ر عوف عباس
كاتب ومؤرخ

تابعت مع غيري من المصريين سقوط ورقة التوت التي كانت تستر عورة النظام الاستبدادي الفردي، والتي حملت اسم «حرية التعبير». لم يأت سقوطها فجأة وعلي غير توقع عندما أصدر أحد قضاة الأمن حكما بالسجن علي فرسان الوطنية الأربعة: عبد الحليم قنديل، وإبراهيم عيسى، ووائل الإبراشي، وعادل حمودة أصحاب الأقلام الشريفة. فما حدث يمثل آخر مراحل كشف النظام المنتهي الصلاحية عن حقيقته القمعية بعدما شهد العالم كله ما حدث للمتضامنين مع قضاة مصر الشرفاء من أعمال بطش همجية تضمنت هناك الأعراس علي ر عوس الأشهاد، والتنكيل بالمشاركين في الوقفات الاحتجاجية السلمية علي يد قطعان الأمن المركزي، وشن حرب شعواء علي المدونات وأصحابها، أضف إلي ذلك قمع وكنم أنفاس كل تحرك جماهيري طلابي أو عمالي أو فلاح.

الحكم الأخير علي فرسان القلم والوطنية الأربعة رسالة مفسوحة بوجهها النظام إلي الصحافة المستقلة الوطنية الحرة، إلي المعارضة السياسية بمختلف أطيافها وتوجهاتها ومواقفها، تنذرنا بالويل إن خرجت عن نطاق الصمت، ومتابعة كل ما يجري بحكمة «لا أري، لا أسمع، لا أتكلم» البغيضة، حتي يتم المراد ويتم الانتقال «السلمي» للسلطة إلي الوريث، ويتم بيع ما بقي من أصول الاقتصاد المصري، وحتى يواصل أركان النظام حماية الفساد وتهينة المناخ له دون مضايقات من جانب الذين يحقدون علي أصحاب الثروات، ودون سماع أصوات الملايين بل عشرات الملايين من المصريين الذين يعلو خط الفقر فوقهم، ويعانون العوز والعطش ويزاحمون الموت في القبور.

الهجمة التنارية علي الصحافة الحرة الوطنية والمعارضة إنذار نهائي لكل من تسول له نفسه «الحاقدة الاعتراض علي تجريف مجانية التعليم حتي لا يتناول أبناء الفقراء إلي مزاحمة أبناء الأكابر، أو إثارة مشكلة البطالة التي أعلن رئيس الحكومة أن مسؤوليتها تقع علي عاتق الأهالي الذين لم يحسنوا اختيار نوع التعليم لأبنائهم الذي يتمشي مع حاجة سوق العمل، أو إثارة قضية المواطنة، و«مزاعم» التمييز بين أبناء الوطن الواحد، ناهيك عن التطرق إلي أمور لا يليق برعية الأسرة الحاكمة الخوض فيها مثل موضوع الحريات وانتهاك حقوق المواطن، وإهدار آدميته، وإفساد الحياة السياسية، والاعتراض علي مشاركة الأموات في الانتخابات وحرمان الأحياء من حق التصويت.

بالاختصار.. ومن الأخر.. الهجمة التنارية علي الصحافة ليست استثناء، ولم يكن الرئيس مبارك بحاجة إلي نصيحة أحد رؤساء التحرير علي الطائفة الرئاسية/ الملكية، الذي قيل أنه طالبه باستخدام العصا، فمن قال يا سادة إن عصا النظام لازمت مهجعها منذ ما يزيد علي ثلاثة عقود؟ ألم تقرأوا حيثيات الحكم المشنوم التي جعلت التطاول علي الحزب الحاكم و«رموزه» من جانب الأقلام الناقدة يدخل في باب الخيانة العظمي. ولا أدري ماذا يفعل قضاء الأمن لو رفع محام قضية باسم «حزب الأمة» ضد من يتناول علي رئيسه وقيادته، هل سيحظي حزب الأمة «ورئيسه خال واحد من الرموز» بمثل ما حظي به حزب الرئيس؟!

لذلك أصابتنني الدهشة لما استقر عليه رأي قيادات نقابة الصحفيين في الاجتماع الذي ناقش موضوع أحكام السجن والهجمة البربرية علي الصحافة، وسياسة تكميص الأفواه، وما جاء علي بعض الألسنة والأقلام من أن «حرية الصحافة» هي الانجاز الحقيقي للرئيس مبارك، ومن ثم لا يجب إهدار هذا الانجاز العظيم والعودة إلي الوراء!! والجهد الذي بذله الاستاذ مكرم محمد أحمد لإقناع زملاءه باعطاء الفرصة «للحوار» مع الحكومة لإلغاء الأحكام

والرجوع عن سياسة تكميم الأفواه وقصف الأرقام، وتأجيل القيام بأي إجراءات احتجاجية إلي حين يمن الله علي الصحافة، ويحنن قلب النظام ببركة الأيام المفترجة !! فإذا انقضت المهلة يصبح من حق النقابة اتخاذ ما تراه من إجراءات احتجاجية ، بما في ذلك احتجاج الصحف المستقلة عن الصدور .

الحوار يا سادة لن يجعل ريمة تتراجع عن عاداتها القديمة والحكم الذي صدر علي الزملاء حكم رث معيب قانونا، ولا مناص من اللجوء إلي محكمة الاستئناف لإلغائه ، وهناك كنيية من كبار المحامين جاهزة للدفاع، وفي القضاء المصري قضاة شرفاء لا بد أن يردوا للزملاء حقهم، وللصحافة اعتبارها .

إن الهجمة التتارية لفتت أنظار الرأي العام الدولي إلي ممارسات النظام التعسفية، وكتبته لحرية التعبير ، وهناك هيئات حقوقية دولية اهتمت بالقضية ، كما اهتم بها الرأي العام في مصر والعالم العربي، والركون إلي الحوار يوقع الجميع في مأزق احتواء الآثار الناجمة عن هذه الهجمة ، وفي وقت يجب فيه حشد جميع إمكانيات النقابة لتنظيم حركة احتجاجية قوية يدور علي هامشها الحوار المزعوم، وإتاحة الفرصة لكل هيئات العمل المدني المحلية والدولية، والقوي الوطنية المعارضة للمشاركة في عمل منظم يواجه الداء ولا يصرف اهتمامه إلي الأعراض الظاهرة . ما حدث يمثل أعراض مرض السلطة الغاشمة المستبدة ، وهو الداء الذي تعاني منه مصر، الذي يجب تركيز الجهود لشفائها منه .

http://www.elbadeel.net/index.php?option=com_content&task=view&id=1640